Arabic

First prize – Hassan Harrafa

من راحة البال إلى متاهات هارودز بنصف سروال على...غير منوال

لم تهتز راحة بالي قط كما اهتزت الأسبوع الماضي. في ردهات هارودز المطلية ذهباً وجدت نفسي فجأة، مشدوه البال، أرتدي نصف سروال على...غير منوال. فما إن تسللت وأهلي من أبواب هذا الحصن المصان، حتى تبيَّن لي أن ليس لي في هذا المتجر مكان. رجال جملاء، استعاضوا عن بشرتهم بأخرى حنطة سمراء. يزهون بلحىً أنيقة نحْتَ البهاء، يبسمون أسناناً ناصعة بيضاء. يرتدون سراويل...جميعها على منوال، يتبخترون كأنهم أصحاب هذه المحال. هنا، ثلة بهرَها المكان، فوضعت نظارات سوداء تقيها بريق هذا الجنان؛ وهناك، جحافل نساء زانت وجوههن أجمل الألوان، فخِلتُهن من بنات قرداشيان، يُصارعن حقائب لها أسماء لم أسمع عنها في أي زمان. هرعتُ هرعاً، ودفعتُ أهلي دفعاً إلى رواق العباد حيث المؤن والأزواد.

دخلنا الرواق. تمتَمتُ وغمغَمتُ "لن أُطعم أهلي...لا كافيار الروس، ولا هبرة اليابان؛ لا من مزارع كوبي، ولا من غيرها مهما كان". انحرفتُ بأهلي بعيداً عن رفوف من رخام، تئن من وطأة بريق بلور ثريات عظام، ورُمتُ بهم عن لحَّام يعرض "دُجيجة، ونصف بطة، وضلوع خروف، وقطعة مرقاز"، مصفوفة في صحن لُوحٍ، سعره 100 جنيهٍ لحَلوحٍ.

هارودز متجر المتاهات بامتياز. مصاعده تتوقف في طوابق عشواء؛ سلالمهُ أشبه برسوم *إيشِر*: متاهات فوق متاهات داخل متاهات. تُهتُ وتاهَ معي أهلي في طول وعرض ردهة من ألماس مرات ومرات؛ حدَّق الباعة إلينا تحديقاً، فوقعتُ فيما أكرهُ على نفسي: مجبراً، سألتُ هذه المرة أحد هؤلاء الشباب، عن رواق "الأكل والشراب".

وجَّهنا البائع إلى حيث إحدى القاعات، لكننا تُهنا مرة أخرى مرات ومرات. دخلنا مصعداً من نحاس؛ أشفق لحالنا، ونقلنا حيث وجدنا أناسا وأناس. انتظرنا لتفرغ إحدى الموائد. عاتبتُ نفسي أي عتاب، لأني كسوتها أرخص الثياب: نصف قميص بنصف سروال...كلاهما على غير منوال، يستحيان من رجال كُهل ينحنون بلطف وضياء، لكنس كراسٍ مخملية حمراء، ومن نُدل شباب، بأنيق الملبس والثياب، يطوفون على زبائن ضجروا من طعام ورغد حال، ومن لقيمات وسندويتشات صُففت على أروع منوال.

تمترستُ بأهلي لأُخفي خزي وعار نصف هذا السروال. أرشدَنا النادل إلى مائدة بها شجرة باسقة الظلال. جلسنا، وجلستْ بقربنا أسرة أنعشت فيَّ راحة البال؛ فقد انشرحتُ حين لحظتُ أن وحيدهم من الرجال، يرتدي أيضا...نصف سروال. فجأة، انقلب انشراحي خزياً حين أدركتُ أنها أسرة من الآيرلنديين الرُحَّال. سألتُ نفسي "ترى، كيف ينظر إلينا هؤلاء الرجال، نحن الرُحَّال؟ فهم لا يرضون بغير سراويل...على منوال، وأحذية من *أرماني* بلا جوارب وأكحال. فلِمَ نحن الرُحَّال، لا نقدر على ابتياع يتيم سروال...يكون على منوال؟".

بلَعنا طعامنا، وبدأنا استكشافنا...رواقَ الأطفال. مشينا طوابق كساها أفخر سجاد، لم يطأه لا أبناء الملوك ولا أفقر العباد. ملابس بأسعار أرهبتني وسرَّتني حيناً، وازدرتني وأغضبتني حينا. نظرتُ إلى ما لرضيعتي "الأنيقة" من نصف قميص ونصف سروال...كلاهما على غير منوال؛ فقد لطخها الطعام وسال لعابها ولا يزال؛ عندها تساءلت: هل ضيعتُ عمري عيشاً بجوار بعير؟ وأصبحت عاجزاً عن شراء قميص وسروال من صوف كشمير، لا يُغسل بغير أيادٍ وجُهدٍ وفير، أُغطي به لُطفاً جلدها الناعم الحرير.

انتابني غضبٌ شديد، فانتصبتُ واقفاً. انحبستْ أنفاس أهلي بآهات الذل والهوان عندما تقدمتُ إلى إحدى البائعات وسألتها عمن يستهين بدفع 300 جنيهٍ لحلوحٍ، مقابل قميص رضيع وسروال، وينعم مع ذلك براحة البال. اهتزت البائعة لسؤالي عن هذا اللباس، لكنها لم تهاتف أياً من الحراس، بل ابتسمت وقالت بيُسر مِراس: "لا تستغرب سيدي، كثيرون هم الذين يبتاعون هذه الأشياء، فهي في الحقيقة لأسماء صَمَّمت أروع الأزياء". ثم توقفتْ فجأة، وبلطف أقرَّتْ "لكنك على حق. هذه أشياءٌ رفيعةٌ على أي حال، ويبتاعها بكل بساطة كل من ينعم...براحة البال".

بتصرف عن: كونور بوب، آيريش تايمز، 29 آب/أغسطس 2018.